خطبة الجمعة

ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٤/٠٦/٠٦

في فرانكفورت بألمانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (الغاشية: ١٨-٢١)

إنه لمن فضل الله تعالى ومنته علينا أنه وفّقنا للإيمان بإمام هذا الزمن أي الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. كلما احتجنا إلى الهداية والإرشاد أو أردنا أن نفهم شيئا أو نبحث عن لآلئ الحكمة المذكورة في القرآن الكريم وجدناها في كتب هذا المبعوث الإلهي وملفوظاته وحلّت المشاكل التي نواجهها. الآيات من سورة الغاشية التي استهللتُ بها خطبتي ونقرأها عادةً في الركعة الثانية في صلاة الجمعة قد فسّرها المسيح الموعود عليه السلام تفسيرا جميلا ورائعا ومليئًا بالعلوم والمعارف يصوّر مشهدا فريدا للتطبيق العملي. فقد حلّ المسيح الموعود عليه السلام بواسطة هذه الآية مسألة طاعة النبي والإمام ووضَّح مفهوم الطاعة الكاملة بضرب مَثل الإبل للمتمسكين بأهداب النبوة والإمامة أي القائمين بالطاعة الكاملة التي هي أساس كل شيء. يبدو هذا الكلام غريبا في بادئ الرأي ويتساءل المرء: ما العلاقة بين الإبل والنبوة والإمامة؟ ولكن الشرح المفصل الذي قام به المسيح الموعود لهذا الموضوع يجعلنا ندرك هذه الصلة العظيمة. يقول المسيح الموعود عليه السلام مفسرا هذه الآية:

"لقد وردت في القرآن الكريم آية: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ وهي مفيدة جدا لحل مسألة النبوة والإمامة. للبعير قرابة ألف اسم في العربية، وقد اختير من بينها اسم "الإبل" هنا. فما السر في ذلك، إذ كان ممكنا أن يقال: "إلى الجَمل" أيضا؟

يبدو أن الجَمل يُطلق على بعير واحد والإبلُ اسم الجمع. ولما كان الله تعالى يريد أن يُري هنا الحالة التمدنية إجمالا، فلم يكن بيان هذه الحال ممكنا باستخدام كلمة "الجمل" التي تُطلق على بعير واحد، لذا

اختار الله تعالى كلمة "إبل". لقد أُودِعت الإبلُ قدرة على الاتباع ومطاوعة بعضها بعضا. ترَون كيف تمشي الإبل في طوابير طويلة وراء بعضها بأسلوب واحد وبسرعة واحدة. والبعير الذي يسير أمامها وإمامَها يكون أكثرها خبرة وأعرفها طريقا ثم تتبعه بقية الإبل وراء بعضها في طابور واحد وبسرعة واحدة، ولا تنشأ في قلب أيٍّ منها رغبة في المشي بالتوازي مثل الحيوانات الأخرى كالأحصنة وغيرها. فإن قضية اتباع الإمام مسلَّم به في طبيعة الإبل لذلك أشار الله تعالى إلى هذه الوحدة فقال: ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ﴾ أي عندما تمشي الإبل في طابور واحد. كذلك من الضروري أن يكون هناك إمام واحد من أجل المحافظة على الوحدة والتمدن.

(الأمر الأول الذي يجب أن ننتبه إليه هو أن يكون هناك إمام واحد للمحافظة على الوحدة والتمدن)

ويجدر بالانتباه أيضا أن الطابور يتكوّن عند السفر، فما لم يكن هناك إمام لقطع سفر في الدنيا فإنّ الإنسان يضل مرارا حتى يهلك. *(الدنيا أيضا بمنـــزلة سفر الحياة فلِقَطع هذا السفر لا بد أن يكون هناك إمام يرشد إلى الصراط المستقيم)*.

والمعلوم أيضا أن الإبل أكثر الدواب حملا للأثقال وأكثرها مشيا، ومنها يتعلّم المرء درس الصبر والجَلَد. ومن ميزات الإبل أيضا أنها تجمع الماء في أثناء الأسفار الطويلة لعدة أيام، ولا تغفل. فعلى المؤمن أيضا أن يكون دائم الاستعداد لسفره وأن يكون حذرا دائما، وخير الزاد التقوى.

يتبين من كلمة "أُنظر" أن هذا النظر ليس كنظر الأطفال بل يتعلّم الإنسان منه درس الاتباع، أي كما أشير من خلال الإبل إلى حالة التمدن والوحدة، وكما في الإبل ميزة اتّباع الإمام كذلك يجب على الإنسان أيضا أن يتخذ من اتباع الإمام دستورا له، لأن الإبل خادمة للإنسان وتوجد فيها هذه الميزة. وفي: "كيف خُلقت" إشارة إلى تلك الفوائد الشاملة التي تُستفاد من الوحدة الملحوظة في الإبل".

ففي "كيف خُلقت" إشارة إلى الفوائد التي يستفيد بها الإنسان من الإبل. لقد بعث الله تعالى المسيح الموعود في هذا الزمن بحسب وعوده ونبوءات رسوله ﷺ، ووفّقنا للإيمان به ثم أكرمنا بنظام الخلافة بعد المسيح الموعود عليه السلام فعلينا أن نقدّر هذه النعمة ويجب أن ندرك روح نظام الخلافة. يقول المسيح الموعود عليه السلام ما مفاده: سيكون هناك أناس يأخذون البيعة من أفراد الجماعة باسمي، أي أنّ الخليفة سيأخذ البيعة نيابة عنه عليه السلام. فما دامت البيعة تؤخذ باسمه عليه السلام فإن سلسلة الطاعة تصل إليه بواسطة بيعة الخليفة وطاعته.

المقتبس الذي قرأته ربط فيه المسيح الموعود عليه السلام بين علاقة النبوة والإمامة وبين ما تتحلى به الإبل من ميزات. والمفهوم هنا واضح أن المسيح الموعود عليه السلام بشّر الذين بايعوه ثم ظلوا متمسكين بأهداب الخلافة بأن بقاءهم الروحاني والتقدم منوط بتمسكهم بالخلافة بعده عليه السلام. إذًا، إن تقدم الجماعة الإسلامية الأحمدية يكمن في تمسكنا بنظام الخلافة، وفي ذلك يكمن سرّ الخلاص من هجمات الشيطان. يقول النبي

ﷺ: "الإمام جُنّة"، فما دمتم وراء هذه الجُنّة فإنكم تجتنبون هجمات الشيطان. والمراد من البقاء وراء الجُنة هو طاعة الإمام الكاملة والسير على خط مستقيم في طابور حُدّد لكم، وإذا خرجتم من الطابور ولو قليلا كان هناك خطر أن تضلوا السبيل وتتيهوا.

وفيما يتعلق بالطاعة فلا بد من الانتباه إلى حديث آخر أيضا لرسول الله وهو: "من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقط عصاني". هناك أحاديث كثيرة في موضوع الطاعة، كذلك أُمر بالطاعة في آيات عديدة من القرآن الكريم أيضا. لذا هذا هو السر الذي يجب أن ينتبه إليه كل من ينتمي إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية من أجل تقدم الجماعة. فيجب على أفراد الجماعة الإسلامية الأحمدية أن يفهموا هذا الأمر جيدا ويتنبهوا إليه، ولا سيما في هذه الأيام حين تُنشر أفكار خاطئة باسم الحرية ويقال: لماذا تُفرض علينا هذه القيود ولماذا نتقيد بها؟ ولماذا لا نُعطى حرية في بعض الأمور؟ يجب أن يتذكر كل مسلم أحمدي أن الإسلام قد أعطى أتباعه حرية مشروعة في كل مجال من مجالات الحياة بل الحرية التي أعطاها الإسلام لا نظير لها في أيّ دين آخر. أما الحدود والقيود التي فرضها فهي من أجل إصلاح أخلاق الإنسان ولتقدمه الروحاني والمحافظة على وحدة الجماعة، فلا بد من التقيد بها.

هنا أريد أن أقول للمسؤولين في الجماعة – أيا كان مستواهم – بأنهم إذا كانوا يريدون أن يكونوا أنصارا في تقدم الجماعة، وإن لم يقبلوا هذه المناصب لإبراز أنفسهم وإظهار أنانيتهم فهم أحوج من غيرهم إلى فهم مضمون الطاعة. فإذا أدرك أصحاب المناصب هذا الأمر سوف يدركه بقية أفراد الجماعة تلقائيا وينتبهون إليه وستتراءى نماذج الطاعة على كل المستويات، ويتراءى الجميع متبعين أسلوب الإبل في المشي في الطابور وسيمشون في اتجاه واحد وسنرى نماذج الطاعة على كل مستوى وسيطيع الجميع إمامَهم في كل خطوة. فعلى الأمراء في الجماعة والرؤساء وغيرهم من المسؤولين أن يفحصوا أنفسهم هل يطيعون الخليفة بحيث إنه كلما أتاهم أمر منه أطاعوه طاعة كاملة فورا دون أدنى تردد ومضض أم يحاولون أن يؤوّلوه من عندهم تأويلات مختلفة. وإذا كانوا يفعلون ذلك فهذه ليست طاعة.

لقد ذُكر في الأحاديث حادثٌ حدَث في زمن النبي ﷺ حين سمع الصحابي عبد الله بن مسعود صوتا يقول: اجلسوا، فجلس في الطريق لأنه كان حينها ماشيا في الطريق و لم يعلّل نفسه بأن هذا الأمر موجَّه إلى الذين في المسجد بل سمع هذا الصوت وجلس فورا حيثما كان. فسأله سائل: ما بك تحبو إلى المسجد حبوا فالأمر موجَّه إلى الموجودين في المسجد فرد عليه الصحابي قائلا: لقد سمعتُ صوت النبي ﷺ وهو يأمر بالجلوس فجلستُ. قال السائل: هذا الأمر كان موجَّها إلى مَن كانوا في المسجد. قال: سواء كان الأمر موجَّها إلى الذين في المسجد أو في الخارج فلا فرق، المهم أنني سمعتُ صوت النبي ﷺ وأطعتُه.

هذا ما أقصده من كلامي السابق، هذه هي معايير الطاعة التي يجب أن نحققها. هناك بعض المسؤولين في الجماعة الذين يعملون بأمر يأتيهم من الخليفة ولكن على مضض وبتردد وبانقباض شديد في قلوبهم.

والعمل بالتردد والانقباض ليس طاعة، بل الطاعة هي أن يعمل المرء بالأمر فورا ودون أدنى تردد أو انقباض. لا بأس في أن يكون لأحد رأيٌ خاص به، ولكن إذا صدر من الخليفة حُكم أنه يجب أن تفعلوا كذا، فلا بد من أن يتخلى المرء عن رأيه الشخصي كليا.

كان مرزا بشير أحمد ﷺ يقول بأنني أتبنّى رأيا في بعض الأمور بناء على دليل عندي ثم أقدّمه إلى خليفة المسيح، فإن لم يلق رأيي القبول عند الخليفة فلا يخطر ببالي مطلقًا لماذا لم يقبل رأيي، وأنسى أنه كان لي رأي، ثم يصبح رأي الخليفة هو رأيي، فأصُبُّ اهتمامي الكامل على طاعة هذا الأمر الذي أتلقّاه من الخليفة.

يقول المسيح الموعود ﷺ: ينبغي أن تضعوا أنفسكم في يد الإمام كالميت بيد الغسال. فكما أن الميت لا يسعه التحرك إلى هنا وهناك بل يحرّكه الغسال كيف يشاء، كذلك على المطيع الكامل أن يضع نفسه في يد الإمام. بعد تحقيقكم هذا المستوى تستطيعون الوفاء بعهود البيعة، وتقدرون بلوغ مستويات طاعة الله وطاعة الرسول. فلا بد أن يولّد كل واحد منا هذا التفكير في نفسه ويبرهن عليه بعمله، ولا بد من تقديم النماذج في هذا المجال للجدد ولذرياتنا، وهناك حاجة ماسة ليقدم الكبار أسوتهم للشباب، أي ينبغي أن يقدم الكبار أسوتهم فيراهم الأطفال والشباب ويتعلمون منهم، والأهم من كل ذلك هو أن يبدأ تقديم مثل هذه الأسوة بدءًا من فوق إلى تحت، وعليه فلا بد لكل مسؤول أن يقيم مثل هذا النموذج.

ينشأ هنا في أذهان بعض الناس سؤال – بطبيعة الحال على فرض صحة هذا السؤال والأسئلة التي تصلني – وهو أن الطاعة الكاملة ربما تكون ضارة. لقد اتخذ هؤلاء الناس فكرة أن الطاعة الكاملة ضارة لأن "هتلر" قد فرض طاعة جميع أوامره في ألمانيا، وعاش دكتاتورا، ويظن بعض الألمان أنهم قد هُزموا في الحرب العالمية الثانية بهذا السبب، واضطروا لتكبد أضرار فادحة وتعرضوا للمهانة. فإنني أريد أن أوضح لكل أحمدي وكلّ شاب أن هناك فرقًا شاسعًا بين الإمامة والخلافة والدكتاتورية، إذ إن الخلافة تُقام بعد الإيمان بإمام الزمان وبحسب وعود الله تعالى، ويعاهد كل مؤمن أنه سيبذل كل ما في وسعه من أجل استمرار نظام الخلافة. حتمًا، لا إكراه في الدين، ولكن إذا آمن أحد بدين فلا بد أن يلتزم بعهد إقامته، وهو العهد نفسه الذي يتعهد به كل أحمدي لإقامة الخلافة، وهو ضروري من أجل وحدة الأمة. فينبغي الوفاء بعهد طاعة الخلافة لأن الجهود ستتكاتف خلف إمام واحد من أجل إقامة حكومة الله تعالى على قلوب العالم كله. أما المسلمون الآخرون فإنهم بدون إمام، وإن نتائج الجهود التي تبذلها الجماعة الإسلامية الأحمدية والنجاحات الباهرة التي تحرزها بتشبثها بالخلافة، تنبئ بجلاء أن المسلمين الآخرين أيضا يتمسكون بالتعاليم الإسلامية إلا أن الحصول على النتائج المذكورة لا يتأتّى إلا من خلال الانخراط في سلك الخلافة.

ثم من مهام الخلافة الاهتمام الكامل بأداء حقوق العباد. أي الإقرار بهذه الحقوق وإرساؤها ثم أداؤها من خلال الجهود المشتركة، إضافة إلى ذلك من مهامها خلق الروح في نفوس أفراد الجماعة لإيثار الدين على الدنيا، وتنبيههم إلى أن يقدّموا الدين على الدنيا في كل الأحوال، لأن ذلك يكفل بقاءهم وبقاء ذراريهم. فإنَّ نفْخ مثل هذه الروح فيهم أيضا من مهام الخلافة. ثم من مهام الخلافة بذلُ السعي الكثير من أجل إقامة توحيد الله تعالى.

أما زعماء الدنيا فلهم أهداف دنيوية، وينصب اهتمامهم على توسيع رقعة حكومتهم الدنيوية، وهذا هو شغلهم الشاغل، ولا يهمهم إلا السيطرة على الجميع. وإذا ألقيتم نظرة على العالم فسترون أن هؤلاء يخرجون من حدود بلادهم ويحاولون بسط السيطرة على حريات البلاد الأخرى سواء كانت حكومتهم دكتاتورية أم سياسية. هذه هي أعمال أهل الدنيا، فإن أعمالهم تقتصر على قتل العدل من أجل الأنانية والحميّة والأنفة الكاذبة. وهذه الحالة نراها في العالم الإسلامي وفي بقية العالم أيضا. فهل من دكتاتور في العالم يكون على علاقة شخصية مع رعايا بلده؟ أما الخليفة فله علاقة شخصية مع كل أحمدي من كل قوم وعرق في العالم كله، والأحمديون يكتبون إليه رسائل خاصة يذكرون فيها قضاياهم الشخصية. فلو نظر أهل الدنيا إلى كمّية هذه الرسائل لما صدّقوا هذا الأمر. إنها الخلافة التي تهتم بآلام كل أحمدي حيثما كان في العالم. والخليفة يدعو لهم. فهل من زعيم في العالم يدعو للمرضى؟ وهل من زعيم يتألم من أجل زواج فتيات شعبه ويدعو لهن بقلق شديد؟ وهل من زعيم يهتم بتعليم أطفال شعبه؟ لا شك أن الحكومات تفتح المدارس وتفتح مراكز للصحة، وتوفر التعليم ولكن الأحمديين المنتشرين في العالم كله سعداء لأن الخليفة يهتم بتعليم أطفالهم ويقلق من أجلهم، ويقلق من أجل صحتهم أيضا، ويهتم بأمور زواجهم أيضا. خلاصة القول ليست قضية من قضايا الأحمديين المنتشرين في العالم كله – سواء أكانت قضية شخصية خاصة أم تتعلق بالجماعة – إلا وخليفة الوقت مطلع عليها وبالإضافة إلى بذل السعي لحلها يتضرع أمام الله تعالى ويدعو لها. هذا ما أعمله وهذا ما دأب عليه الخلفاء من قبلي.

لقد استعرضت ملخصًا للأعمال الكثيرة التي عهد الله تعالى بها إلى خليفة الوقت، ولا بد أن ينجزها. ليس من بلد في بلاد العالم إلا وتأخذني إليه أفكاري قبل النوم، فأدعو للأحمديين هناك قبل النوم وعند الاستيقاظ. لا أخبركم عن هذه الأمور لأمنّ عليكم بها، بل هو من واجبي. وفقني الله تعالى لأداء واجبي هذا أكثر مما أقوم به.

زبدة القول أنه لا يمكن أن يكون هناك وجه للمقارنة بين الخلافة والزعماء الدنيويين. بل من الخطأ إجراء مثل هذه المقارنة. عندما أذكر لبعض الزعماء الدنيويين بريدي اليومي وأنني أطلع على هذا العدد الكبير من الرسائل منها رسائل شخصية وأخرى إدارية، يندهشون ويقولون كيف يمكن أن يتم ذلك؟! فلا وجه للمقارنة.

وهنا أريد أن أزيل سوء فهم البعض، ولقد تناولت هذا الموضوع بالتفصيل في خطبي حول شروط البيعة أيضا أن كل أحمدي يعاهد على العمل بكل قرارات الخليفة بالمعروف. يظن البعض أنه ينبغي عليهم أن يحددوا ما هو المعروف. فليتضح أن الله تعالى قد عرّف المعروف كما عرّفه رسوله أيضا. فقد سبق أن حُدّد المعروف. وعليه فالقرار المعروف هو الذي يكون متوافقًا مع القرآن والسنة. وإن الخلافة التي تقوم على منهاج النبوة والتي تنتهج النهج الذي أقامته النبوة والتي هي دائمة بحسب قول المسيح الموعود عليه السلام والتي تواصل مهمته عليه السلام، إنها أعني الخلافة يستحيل أن تتصرف أي تصرف يتنافى مع القرآن والسنة، وهذا هو معنى المعروف. إذًا فلا سبيل أمام هؤلاء إلا الطاعة، أو عليهم أن يُثبتوا أن القرار الفلاني من قرارات الخليفة مخالف للقرآن والسنة.

وهنا أود أن أذكّركم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد صرح أنه لا بد لكم من طاعة قرارات الخلفاء الراشدين واتباع سننهم وأعمالهم. لذا فعلى هؤلاء القوم أن يفكّروا كثيرا قبل محاولة إثبات زعمهم أن كذا وكذا من قرارات الخليفة منافٍ للقرآن والسنة. إذا كان هؤلاء يحملون رأيا خاصا، مع بقائهم في الجماعة، فلا يجوز لهم أن يشيعوا الإشاعات بين الناس جالسين في مكانهم، إنما عليهم أن يرفعوا رأيهم إلى الخليفة بأدب، لكي يزيل ما عندهم من سوء فهم إذا كان هناك سوء فهم، أو إذا رأى ذلك أخبر الجماعة كلها بهذا اللبس. اعلموا أن المنافقين ينشطون عند تقدم الجماعات الدينية ويعمل الحساد عملهم أيضا، ومن مقتضى الوفاء الصادق مع الخلافة أن تُفشلوا خططهم على كل صعيد، ولا تدَعوا هؤلاء الذين يثيرون سوء ظن بالخلافة ليقتربوا منكم.

هناك واقعة لحضرة مولانا شير علي رضي الله عنه، وقد حدثت حين كان قادما إلى لندن من أجل ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية. كان عليه أن يسافر من مدينة مومباي غالبا، فوصل هنالك يوم الجمعة، فقال له أبناء الجماعة هنالك: نريد أن تصلي بنا الجمعة اليوم فإنك صحابي وجئت من قاديان ونريد الاقتباس من فيوضك. لم يكن هؤلاء يعرفونه سلفا ولم يروه من قبل، كما لم يكن يعرف أحدا منهم، فقال في خطبة الجمعة: انظروا أنتم لا تعرفونني، ولم يرني بعضكم من قبل، وقد طلبتم مني أن أقف لإلقاء الخطبة وجعلتموني إماما لكم اليوم. اعلموا أن من تعاليم الإسلام أن الإمام لو أخطأ في الصلاة فعلى المصلين وراءه أن يقولوا: سبحان الله، تنبيهًا له إلى خطئه، فإذا أصلح خطأه فبها، وإنْ لم يتدارك خطأه فمن واجبهم أن يعملوا كما يعمل ويتبعوه في قيامه وقعوده وركوعه وسجوده مطيعين له طاعة كاملة، ولا يحق لهم أن يتركوا اتباعه ويصلوا وحدهم. فما دام مطلوبٌ منا هذا المستوى من الطاعة في الإمامة المؤقتة في الصلاة، فكم حري بنا أن نطيع الخليفة بعد أن نبايعه ونعاهده عهد البيعة عن طواعية. ما دمنا ندخل في البيعة بأنفسنا دونما إكراه وبعد تفكير كثير فالطاعة جدُّ ضرورية وفاءً بعهد البيعة.

يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام:

"الطاعة شيء إذا اختاره الإنسان بصدق القلب نشأ في قلبه نورٌ وفي روحه لذة ونورٌ. ليست هناك حاجة إلى المجاهدات بقدر الحاجة إلى الطاعة. ولكن الشرط هو أن تكون الطاعة صادقة وهذا هو الأصعب. لا بد من ذبح أهواء النفس في سبيل الطاعة وإلا لا تتحقق الطاعة. إن أهواء النفس هو الشيء الذي يمكن أن يصبح أوثانا في قلوب الموحدين الكبار أيضا. *(أي أن بعض كبار الموحّدين أيضا في بعض الأحيان يخرجون من الطاعة، ويتخذون لهم آلهة من دون الله).* لا يمكن لقوم أن يسمَّى قوما ولا يمكن أن تُنفخ فيهم روح الملة والوحدة ما لم يتمسكوا بمبدأ الطاعة... لو تركوا الخلافات في الرأي وأطاعوا مَن أمر الله بطاعته لتم ما أرادوا إتمامه. يد الله تكون مع الجماعة والسر في ذلك أن الله يحب الوحدة. والوحدة لا تتحقق دون الطاعة."

نرى في تاريخ الإسلام أن الصحابة قد قدموا أعناقهم للذبح بسبب الطاعة الكاملة وبالتالي نشروا الإسلام في العالم خلال سنوات قليلة، وتحقق كل ذلك بسبب الطاعة. ولا يعني هذا أن الإسلام قد انتشر بالحروب، بل يعني ذلك أنهم قاموا بالتبليغ أيضا، ثم إذا اضطروا للخوض في الحروب فلم تستطع كثرة عدد الأعداء وهجماتهم أن تحول دون إنجازهم مهامهم. وبسبب تحلّيهم بروح الطاعة تأهبوا عند اقتضاء الحاجة لمواجهة عدو كثير العدد أيضا. ونرى مقابل ذلك أن أتباع موسى عليه السلام لم يُظهروا نموذج الطاعة فحَرموا أنفسَهم الإنعام لأربعين سنة.

فلو أردتم الرقي فلا بد لكم من اتّباع الخليفة وطاعته، لأن جهاد هذا العصر، أعني جهاد التربية وجهاد التبليغ والدعوة لن يتم إلا باتباع الخليفة. لا بد لكم من ذلك ولا بد لكم من العمل بما بين لكم المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام بضرب مثال الإبل. عليكم أن تجعلوا الطاعة فطرتكم الثانية، بل ينبغي أن تؤثروا طاعة الإمام على كل أمر آخر.

أواصل توضيح هذا الموضوع أكثر على ضوء تفسير المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام فأقول: هناك حاجة ماسة لرفع مستوى الطاعة لنجاتكم من الضلال والهلاك، ولا يمكنكم البقاء صابرين على الشدائد والصعاب إلا بالاعتصام بحبل الخلافة، فقد قال عليه الصلاة والسلام أنه لا بد لنا من الصبر على الشدائد. فمهما سعى معارضو الأحمدية ليضغطوا علينا ويلقونا في الشدائد والصعاب باذلين أقصى جهودهم للقضاء علينا في زعمهم، فإن الله تعالى يأخذ بنا إلى غايتنا بسرعة أكثر إن شاء الله، ولكن الشرط أن تكون طاعتنا كاملة. إننا نجد المسلمين الآخرين اليوم يدَّعُون العملَ بالقرآن والسنة كما قلت من قبل، ولكن ينقصهم الصبر وتحمل المصائب، فلا عمل لهم إلا الإساءة إلى الإسلام. فاليوم إن جماعة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام هي وحدها تقدّم للصبر والتحمل نماذج يغبطون عليها. إنها تقدِّم نماذج تحمّل الأذى التي وُجدت في المسلمين في صدر الإسلام، مما يوضح معنى قوله تعالى (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم).

ثم يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام: إن الجَمل يدّخر الماء للسفر، ولا يكون غافلا عن سد حاجته إلى الماء عند الضرورة، فينبغي للمؤمن أيضا أن يأخذ حيطته وأُهبته للسفر في كل حين. وكيف يفعل ذلك؟ إنما سبيله أن يتزود لسفره هذا. وكما قلت آنفا فإن المؤمن في الدنيا كالمسافر، فعليه أن يتزود لسفره، وخير الزاد التقوى. هناك حاجة لأن نؤدي أعمالنا وعباداتنا أداء يجعلها خيرَ زاد لنا. لقد تيسّرَ لنا الماء الروحاني من خلال إيماننا بإمام هذا الزمان، ومن واجبنا الآن أن ندّخر هذا الماء ونحتفظ به وننتفع به. يجب أن يدرك كل مسلم أحمدي هذه الحقيقة.

فيا لسعادة قوم يستمعون لأقوال إمامهم ويعملون بها بطاعة كاملة، وهذا ما يجعلهم يستفيضون من فيوض نعمة الخلافة. لقد أخبر الله تعالى في القرآن الكريم أن المستفيضين من فيوض الخلافة إنما هم أولئك الذين يعملون الصالحات ويعبدون الله تعالى ويقيمون وحدانية الله، وأولئك هم السائرون على دروب التقوى.

فكيف يمكن لأحد، بعد الأخذ بهذه الأمور في الحسبان، أن يقول بأن الخلافة لها أيضا أهداف مادية أو كأهداف الحكام الماديين. إن الذين ينجرّون وراء الأهداف المادية لا علاقة لهم بالروحانية البتة، وفي أحيان كثيرة لا ينجحون في غايتهم ولا يحرزون مآربهم رغم تيسر الأسباب المادية كلها. إنما النجاح أن يحرز المرء الانتصار الأخروي، ولكنهم يظلّون محرومين منه. أما الذين يبتغون رضوان الله تعالى ويسلكون سبل التقوى، فلا يكون هدفهم الانتصار المادي، إنما غايتهم الفوز بقرب الله تعالى والتزود بالتقوى أكثر فأكثر من خلال الطاعة الكاملة. إن هدفنا إقامة حكم الله تعالى ورفع لواء وحدانيته في العالم، لا أية منفعة شخصية، وسنفتح قلوب العالم لنأتي بهم تحت راية النبي ﷺ، ولنيل هذا الهدف نقيم برامجنا التبليغية والبرامج الأخرى، ولنيل هذا الهدف نركِّز على الدعاء وينبغي أن نركز. فالخلافة تعمل لتحقيق هذه الأهداف، لكن ذلك يقتضي أن نفهم أولا ما هي الخلافة، ولا يُفهم ذلك إلا إذا آمنا بوجوب الطاعة الكاملة، فمهما كان أحد يعدّ نفسه عالما ومتدبرا أو خطيبا إذا لم يكن مطيعا فليس له أي مكان في الجماعة الإسلامية الأحمدية، ولا يُكسب علمُه هذا وعقله العالَمَ فائدةً روحانية. يجب أن نتذكر دوما قول المسيح الموعود عليه السلام أي "يجب على الإنسان أن يتخذ طاعة الإمام دستورا له" فعندما تتمكنون من الطاعة الكاملة لخليفة الوقت واتباعِه، وتعملون بالتوجيهات والأوامر الصادرة من خليفة الوقت وتتوقفون عن تأويلها وتفسيرها، فسيزهر ويثمر علمكم وعقلكم بنيل رضوان الله تعالى. فبناء على تفسير المسيح الموعود عليه السلام لهذه الآية عندما ننظر إلى بقية الآيات التي تلوتها عليكم تتبين المعارف أكثر أن الإنسان لا يستطيع الارتقاء إلى قمم السماء الروحانية إلا عندما يدرك مضمون: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٦٠)، فكما يطالب المسئولون أفراد الجماعة أن يطيعوهم بصفتهم أولي الأمر كذلك على المسئولين أيضا أن يطيعوا الخلافة طاعة كاملة وليكُفُّوا عن التأويلات، ولينفِّذوا كل كلمة

لخليفة الوقت إيمانا منهم بأن تنفيذها واجبٌ. أحيانا عندما تُرسَل من المركز بعض القضايا من أجل التحري والتقصي فمن الملاحظ أن المسئولين يبذلون المساعي أولا للعثور على من رفع الشكوى بدلا من أن يروا أن الشكوى صحيحة أم لا، فإذا كانوا صادقين في التقصي فيجب التدارك والبحث عن الحل وإزالة الضعف والنقص. أما إذا كانت الشكوى خاطئة فليرفعوا التقرير أن الشكوى ليست صحيحة وقد رفعها أحدٌ عبثًا. لكن الملاحظ أنهم يؤجلون التقصي ويسعون أولا لاكتشاف من ذا الذي رفع هذه الشكوى. فيجب أن لا يهتمّ أيُّ مسئول بالبحث عمَّن رفع الشكوى أو أخبر المركز. فمن واجبكم أن تبحثوا في الأمر الذي يرسَل إليكم وتُخبروا المركز، وإن لم تفهموا أي حكم للخليفة بوضوح فبدلا من أن تفسروا من عندكم وتقولوا إن المراد منه كذا أو كذا، يجب أن تستفسروني خطيا أننا لم نفهم ونرجو التوضيح أكثر، فما المراد من الأمر الفلاني. وكذلك يجب على كل فرد من أبناء الجماعة أن يتحلى بالطاعة الكاملة، وعندما يطيع كل واحد فسوف نتقدم إن شاء الله إلى المعالي الروحانية، وهذا هو معنى هذه الآيات. يقول الله ﷻ عندما تبلغون القمم الروحانية فسيترسخ إيمانكم كالجبال المنصوبة في الأرض، وهذا العروج الروحاني والإيمان القوي سيؤدي إلى انتشاركم في الأرض حاملين رسالة الإسلام، فسوف تحرزون التقدم والازدهار في الشرق والغرب أيضا إن شاء الله، وستكون أوروبا وآسيا أيضا لكم وأميركا وإفريقيا أيضا وسيرفرف لواء الإسلام الصحيح في أستراليا وفي الجزر أيضا.

أود أن أقول شيئا آخر انطلاقا من انتشار الإسلام، أني سمعت أن بعضكم يضطربون إثر سماع اعتراض على قول سيدنا المصلح الموعود ﷺ أنه إذا فُتحت ألمانيا فسوف تُفتح أوروبا بأسرها. هذه الجملة كانت مكتوبة على إحدى اللافتات في الجلسة، وعندما قرأها أحد الألمان اعترض أنه يُستشف من هذه الجملة أنكم أتيتم إلى هنا لفتح ألمانيا، ففي الظاهر ترفعون هتاف الحب والرفق وفي الخفاء لكم عزائم خطرة. فهذا يعود إلى قلة فهم القائل، أو غبائه أو ربما قصد إثارة الفتنة. إذا كان يقصد الفتنة فهو خطير، إذ أنه يحاول الإثارة ضد المسلمين، وضد الجماعة الإسلامية الأحمدية. أما الذي ردّ عليه وشرح له فهو أيضا قليل العلم إذ اضطرب بلا سبب وظنَّ أن هذا السؤال قد يتحول إلى قضية. فالسكان المحليون الألمان عادة عقلاء ويعرفون أن الجماعة تسعى لنشر دعوة الإسلام في العالم وهي تنجز أعمال خدمة الخلق، لكي تقرِّب العالم من الإسلام بشرح التعليم الجميل للإسلام وتضمّهم إلى المسلمين. فكلمة الفتح لا توحي قطعا أننا سنرفع السيف والعياذ بالله أو سوف نطيح بعروش الحكام. كلا بل نعلن قبل كل شيء أن "لا إكراه في الدين"، فالدين يخص قلب كل إنسان. فلا داعي للقلق والاضطراب، فنحن كما قلت سابقا ننشر دعوة الإسلام في العالم، ولن نفتح ألمانيا وأوروبا فقط بل سوف نفتح العالم كله إن شاء الله. لكن ذلك بفتح القلوب وبتأثير التعليم الجميل للإسلام لا برفع السيف إطلاقا. فكلام سيدنا المصلح الموعود ﷺ عن ذلك فيه بيان عظمة الشعب الألماني، إذ كان قد تفوَّه بهذه الجملة أي "أن الألمان هم قادةُ أوروبا"

أثناء مأدبة أُقيمت لأحمدي ألماني حديث لما ذهب بعض الأحمديين الألمان الجدد إلى قاديان. ففي هذه الجمل بيان عظمة الألمان، أن الألمان هم قادة أوروبا وأنهم يتمتعون بموهبة القيادة، وأنهم إذا فهموا الإسلام فاعلموا أنهم سيقدرون على أن يفهِّموه لأوروبا كلها، وأن أوروبا سوف تستجيب لهم. فقول سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه هذا حق وصادق، وهو يتحقق اليوم إذ نلاحظ الدور القيادي لألمانيا في الاتحاد الأوروبي وتُرى فيه كفاءاتُ الألمان إذ كل واحد يرنو إليهم. فالسياق والمناسبة ليست لرفع السيف والعنف بل الحديث عن تعليم الإسلام عن نشر الحب والمودة، وإنشاء العلاقة بالله سبحانه وتعالى، وترسيخ هذا التعليم في قلوب الناس.

قبل الأمس كان هناك برنامج بمناسبة وضع حجر الأساس للمسجد في مدينة "وِيزْبادَنْ" حيث حضر البرنامجَ أكثر من أربعمائة ضيف ألماني، فتكلمتُ معهم بإيجاز عن تعليم الإسلام، فكلهم تقريبا قالوا إن هذا الرسالة هي صوت قلوبنا جميعا، وقالوا: لقد تسنى لنا اليوم الاستماع إلى رسالة الإسلام. يجب أن نتذكر أننا إذا تابعنا أعمالنا بإخلاص ووفاء مستعينين بالله فسوف يفهمون الإسلام ويعتنقونه هُم أو أجيالهم القادمة، فسوف يوفِّق الله لقبوله من يريده. فلا داعي للخوف ولا الاضطراب ولا الخجل ولا اتخاذ موقف الدفاع. وليس ثمة حاجة لإطلاق ردٍّ يترشح منه الخوف. فلا نستهدف الحصول على الحكومات المادية ولسنا بحاجة إليها. إن مهمتنا ترسيخ حب الله في القلوب وجعْل الناس منيبين إليه. وسوف ننشغل في نيل هذا الهدف إن شاء الله. فكل أحمدي بحاجة إلى أن يطيع الخلافة طاعة كاملة لإنجاز هذا العمل ونيل هذا الهدف، وفَّق الله الجميع لذلك.